

مختصر ابن كثير

١ - يسألونك عن الأنفال قل الأنفال هـ والرسول فاتقوا هـ وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا هـ ورسوله إن كنتم مؤمنين .

قال البخاري : الأنفال المغامن عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس هـما سورة الأنفال قال : نزلت في بدر وروي عن ابن عباس أنه قال : الأنفال الغنائم كانت لرسول هـ صلى هـ عليه وسلم خالصة ليس لأحد منها شيء (وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والمضاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنها المغامن) قال فيها لبيد : .
إن تقوى ربنا خير نفل ... وبإذن هـ ريشى والعجل .

وقال ابن جرير عن القاسم بن محمد قال : سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن الأنفال ؟ فقال ابن عباس هـما : الفرس من النفل والسلب من النفل ثم عاد لمسألته فقال ابن عباس أيضاً ثم قال الرجل : الأنفال التي قال هـ في كتابه ما هي ؟ قال القاسم : فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ . مثل صبيع الذي ضربه عمر بن الخطاب . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس أنه فسر النفل بما ينفله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المتبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل و هـ أعلم . وقال مجاهد : إنهم سألوا رسول هـ صلى هـ عليه وسلم عن الخمس بعد الأربعة من الأخماس فنزلت : { يسألونك عن الأنفال } وقال ابن مسعود : لا نفل يوم الزحف إنما النفل قبل التقاء الصدوق وقال ابن المبارك عن عطاء بن أبي رباح في الآية { يسألونك عن الأنفال } قال يسألونك فيما شد من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد أو أمة أو متعاف فهو نفل للنبي صلى هـ عليه وسلم يصنع به ما يشاء قال ابن جرير وقال آخرون : هي أنفال السرايا بلغني في قوله تعالى { يسألونك عن الأنفال } قال : السرايا ومعنى هذا ما ينفله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش .

وقد صرَّح بذلك الشعبي واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم ويشهد بذلك ما ورد في سبب نزول الآية وهو ما روي عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر قتل أخي (عمير) وقتلت (سعيد بن العاص) وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيبة فأتيت به النبي صلى هـ عليه وسلم فقال : " اذهب فاطرحه في القبض " .

قال : فرجعت وبي ما لا يعلمه هـ من قتل أخي وأخذ سيفي قال : مما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول هـ صلى هـ عليه وسلم : اذهب فخذ سلبك " .
(سبب آخر في نزول الآية) : .

وقال الإمام أحمد عن أبي أمامة قال : سألت (عبادة) عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساعط فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا . وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقول : عن سواء . وقال الإمام أحمد أيضاً عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزموه ويقتلون وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيّب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حوينها فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجموا في طلب العدو : لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أحذقووا برسول الله صلى الله عليه وسلم : خفنا أن يصيّب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت : { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال للرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم } فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار في أرض العدو نفل الرابع فإذا أقبل راجعا نفل الثالث وكان يكره الأنفال (رواه أحمد والترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : هذا حديث صحيح) . وروى أبو داود والنمسائي وابن مريديه واللطف له .

عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا " فتسارع في ذلك شبان القوم وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما كانت المغانم جاءوا يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فإننا كنا رداء لكم لو انكشفتم لفئتم إلينا فتنازعوا فأنزل الله تعالى : { يسألونك عن الأنفال - إلى قوله واطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين } وقال الإمام القاسم بن سلام في كتاب (الأموال الشرعية) : أما الأنفال فهي المغانم وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب فكانت الأنفال الأولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال للرسول } فقسمها يوم بدر على ما أراه الله من غير أن يخسمها ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس فنسخت الأولى قلت : هكذا روى عن ابن عباس وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي وقال ابن زيد : ليست منسوبة بل هي محكمة والأنفال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة . ومعنى الأنفال في كلام العرب : كل إحسان فعله فاعل تفضلاً من غير أن يجب ذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو شيء خصمهم الله به تفضلاً منه عليهم بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم فنفليها الله تعالى هذه الأمة فهذا أصل النفل . وشاهد هذا ما في الصحيحين : " وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي " وذكر تمام الحديث .

وقوله تعالى : { فاتقوا إه وأصلحوا ذات بينكم } أي اتقوا إه في أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظالموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فيما آتاكم إه من الهدى والعلم خير مما تختصمون بحسبه { وأطيعوا إه ورسوله } أي في قسمه بينكم على ما أراده إه فإنه إنما يقسمه كما أمره إه من العدل والإنصاف وقال ابن عباس : هذا تحرير من إه ورسوله أن يتقو و يصلحوا ذات بينهم وقال السدي { وأصلحوا ذات بينكم } أي لا تستبوا ولنذكر ه هنا حديثا أورده الحافظ أبو يعلى الموصلي (في مسنده عن أنس) قال : بينما رسول إه جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثنا ياه فقال عمر : ما أضحكك يا رسول إه بأبي أنت وأمي ؟ فقال : " رجلان من أمتني جيئا بين يدي رب العزة تبارك وتعالى فقال أحدهما : يا رب خذ لي مظلومتي من أخي قال إه تعالى : أعط أخيك مظلومته قال : يا رب لم يبق من حسنا تي شيء قال : رب فليحمل عنني من أوزاري " قال ففاضت عينا رسول إه بالبكاء ثم قال : " إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم فقال إه تعالى للطالب : ارفع بصرك وانظر في الجنان فرفع رأسه فقال : يا رب أرى مدائن من فضة وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ لأينبي هذا ؟ لأي صديق هذا ؟ لأي شهيد هذا ؟ قال : هذا لمن أعطى ثمنه ؟ قال : رب ومن يملك ثمنه ؟ قال : أنت تملكه قال : مادا يا رب ؟ قال تعفو عن أخيك وقال : يا رب فإني قد عفوت عنه . قال إه تعالى : خذ بيدي أخيك فادخلا الجنة " . ثم قال رسول إه : " فاتقوا إه وأصلحوا ذات بينكم فإن إه تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيمة " (أخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي)